

The poetry of intertextuality in the speech of Prince
Badr bin Shaker to Abdul Karim Radi Jaafar

Ali Ghanem Abdel Karim

Assistant teacher

Ninevah Directorate of
Education

علي غانم عبد الكريم

مدرس مساعد

مديرية تربية نينوى

aligh85p@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢٢/٥/٢٦

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/٢/٢٢

الكلمات المفتاحية: الشعرية، التناص، عبدالكريم راضي جعفر، السياب، الشعر الحديث

Keywords: poetic, intertextuality, Abdul Karim Radi Jaafar, Al-Sayyab, modern poetry

المخلص

يعد التناص من المقاربات النقدية التي اهتم بها النقد الغربي المعاصر بدءاً من محاولات كريستيفا، وصولاً الى متعاليات بارت. ويعتمد التناص على تلاقح النصوص وتفاعلها في بنية نصية تنتج من تلك النصوص المتفاعلة، ولقد تأثرت الثقافة العربية ابداعاً ونقداً بنظرية التناص الغربية، ويسعى البحث لتتبع التناص في ديوان خطاب الامير بدر بن شاكر. وهذا الديوان عبارة عن قصيدة طويلة، حاول فيها الشاعر التناص والتفاعل مع الخطاب الشعري للسياب والباسه لباساً معاصراً وقد سعى البحث للكشف عن اليات ذلك التفاعل النصي مع السياب ومع النصوص الاخرى متتبعا للنصوص السيابية التي أفاد منها جعفر في عمله الشعري، وقد توصل البحث الى : أن الشاعر كان متأثراً بالسياب محاولاً التفتح به ولعل ذلك يعود لكونهما مكن بيئة واحدة وعاشا الظروف ذاتها من مرض وتقلبات سياسية واجتماعية تركت أثرها البالغ في شعريهما، على الرغم من أن السياب من جيل الرواد وعبد الكريم راضي جعفر من جيل السبعينات، ويحاول البحث الإجابة عن السؤال : ما مدى تأثير جعفر بشعر السياب؟ وكيف تناص معه؟، وهل استطاع الخروج من عباءة السياب لبناء قصيدة تعالج هما معاصراً؟.

Abstract

The poetry of intertextuality in the speech of Prince Badr bin Shaker to Abdul Karim Radi Jaafar

Research Summary. Intertextuality is one of the critical approaches that contemporary Western criticism has taken care of, from Christina's attempts to Bart's transcendentalism. Intertextuality depends on the cross-fertilization of texts and their interaction in a textual structure that results from those interacting texts. Badr bin Shaker. This book is a long poem in which the poet tried to intertextualize and interact with the poetic discourse of al-Sayyab and dressed him in a contemporary poetic dress.

The research sought to reveal the mechanisms of that textual interaction with al-Sayyab and with other texts

يعود أصل فكرة التناص الى الحوارية التي اطلقها باختين فالنصوص تتحاور بينها بمعنى أنها تتأثر بالنصوص التي سبقتها. ويرى باختين انه (كل خطاب عن قصد او غير قصد يقيم حوارا مع الخطابات السابقة له، الخطابات التي تشترك معها في الموضوع نفسه، كما يقيم أيضا حوارات مع الخطابات التي ستأتي والتي ينتبأ بها)^(١). أنها ستأتي.

أما مصطلح التناص فيعود إلى جوليا كريستيفا في مقالاتها منتصف ستينات القرن العشرين إذ رأت أن أي نص يتشكل من نصوص أخرى بطرائق متعددة^(٢)، وهي تؤكد (أن التناص ظاهرة عامة في الأعمال الأدبية جميعها فهو نص خاضع لتوجه مزدوج يتمثل في النسق اللساني والاجتماعي الذي أنتجه من جهة، والسيرورة الاجتماعية التي يسهم فيها بوصفه خطابا ولهذا وصفت النص بأنه خطاب متعدد الاصوات وذلك بناء على رؤيتها للخلفية التناصية التي انبثق منها ولكونه بوتقة تظهر فيها أنماط مختلفة من الملفوظات)^(٣).

لقد تأثر النقد العربي المعاصر بالنقد الأوربي وبأفكار تودورف وكريستيفا بالتناص وسار على منوالهما، إذ يرى محمد مفتاح أن التناص يخضع لبنية كبرى هي بنية (التذاكر). وهو نوعان : داخلي، وخارجي ويعرّف التناص بأنه: (حضور اللغة الطبيعية سواء أكانت كلمة أم تركيباً لغوياً ذا قول ... في كتابة شخص بمعناها الاصلي، أو بالتصرف فيه ضروبا من التصرف، ونقصد به أيضا تكرار النصوص من: الأصوات والحروف والكلمات والتعبير في النص الواحد، وتداخل النصوص وتحاورها في عدة نصوص داخل مجموع واحد)^(٤).

لقد سعى جيرار جينيت إلى تطوير أفكار التناص عند كريستيفا واستخدم مصطلح التناص في كتابه (اطراس ١٩٨٢). إذ تتبع العلاقات النصية التي بإمكان النصوص أن تتخذها وسيلة للتعبير والتفاعل مع النصوص الأخرى، وقام بمراجعة شاملة لمفهوم التناص بأطار أشمل هو إطار المتعاليات النصية الذي ضمّ مجموعة كبيرة من الأمور الخاصة بالاعتبات ولقد أوضح ذلك بقوله (لا يهمني النص حاليا إلا من حيث تعاليه النصي، أي أن أعرف كلّ ما يجعله في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص وهذا هو التناص النصي الذي أبحث عنه وأهتم به)^(٥).

(١) المبدأ الحوارية : ١٦.

(٢) نظرية التناص : ٢٨ .

(٣) علم النص : ٣.

(٤) مفاهيم موسعة لنظرية شعرية : ٧٢

(٥) ينظر مدخل لجامع النص : ٩٠ .

حصر جينيت أشكال التناص في نمطين : يقوم أحدهما على العفوية، والآخر على القصدية . وأكد أن بنية التناص عفوية او قصدية أمر لا يمكن تيرئة أي نص أدبي منه، فما النص إلا نتاج تلاقح نصوص مختلفة، لأن ذاكرة المبدع ممتلئة بعصارة تلك النصوص .وكما قيل (أن جسم الأسد ما هو إلا مجموعة خراف مهضومة) فالنص قد تشكل عبر تعالق نصوص مختلفة أفاد منها الشاعر أو الكاتب في بناء نصه الادبي الجديد .

عبد الكريم راضي جعفر : سيرة مختصرة

يعد الدكتور عبد الكريم راضي جعفر واحداً من الأسماء المهمة في حركة الشعر العراقي الحديث مبدعا وناقدا، لما تركه من تجربة شعرية ثرية فضلا على إسهاماته النقدية البارزة، بوصفه واحدا من أهم النقاد الاكاديميين العراقيين المعاصرين، فقد ولد في ملتقى دجلة والفرات بالقرن في محافظة البصرة سنة ١٩٤٦ وتوفي في بغداد في ٢٧ آب ٢٠٢٠ بعد أن عانى كثيرا من مرض السرطان وكان قد حصل على البكالوريوس سنة ١٩٦٨، ثم الماجستير بتقدير ممتاز عام ١٩٨٥، والدكتوراه بتقدير ممتاز عام ١٩٩٠. وعمل بالتعليم الثانوي، ثم عميدا لمعهد الفنون الجميلة، قبل ان ينقل الى وزارة التعليم العالي تدريسيا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ثم رئيساً للقسم . ثم انتقل للعمل في جامعة جرش بالمملكة الأردنية ليعود مرة ثانية للجامعة المستنصرية حتى تقاعده .

إمتدت تجربته الشعرية والنقدية خمسة عقود. فقد أصدر ديوانه الأول (الدفء البارد ١٩٧٠) ثم توالى دواوينه المتعددة منها (عن الفارس والصيد الآخر)، (سيدي أيها البحر)، (ارتفاعات الشفق الجنوبي)، (عشب الأفول)، (زهرة البرتقال)، (يقول المغني)، (خطاب الأمير بدر بن شاكر)، (أيها الناس للندى معصرة).

كما صدرت له عدة كتب نقدية منها : في حركة الشعر العراقي، نظرية الشعر عند نازك الملائكة، رماد الشعر، مفهوم الشعر عند السياب، شعر عبد القادر رشيد الناصري دراسة فنية ، الشمعة والمصباح، فضلا عن عشرات الدراسات والبحوث النقدية .

خطاب الأمير بدر بن شاكر وأهميته :

يعد ديوان خطاب الامير بدر بن شاكر من أهم كتاباته الشعرية،فهو قصيدة واحدة طويلة نالت شهرة واسعة. ويمكن القول أنها شكلت عصارة تجربته النقدية والشعرية. وقد كتبها في اواخر حياته،عندما كان يعاني من غريبتين :عامة وخاصة فقد كان يشعر بالألم الممض وهو يرى بلاده تحت وطأة الاحتلال تعيش ذروة التفتت والصراع الطائفي والعرقي، وتتكالب عليها المؤامرات من كل حذب وصوب،هذا من الناحية العامة . أما من الناحية الخاصة فقد عانى كثيرا من المرض العضال، وشح الدواء وغلائه، فضلا عن أبلاغه بترك سكنه الجامعي قسرا بعد تقاعده، فكانت تجربته شبيهة بتجربة السياب الذي مر بظروف مشابهه ولقد نال هذا الديوان / القصيدة عناية النقاد الاكاديميين، الذين أشادوا به فقد قال عنه الاستاذ الدكتور محمد جواد البدراني (إنه يشكل علامة فارقة في تجربة عبدالكريم راضي جعفر فهو يتماهى مع السياب ابداعيا عبر توظيف الموروث الشعبي والحكائي الذي نجح في عصرنة مأساة السياب ومنحها بعداً انسانياً فهو يتكئ على عمق تراثي وثقافة مترامية الأطراف تجعل نصوصه مكنتزة تجذب المتلقي وتعري الناقد بسبر أغوارها) (١) .

ورأى الدكتور كاظم فاخر الخفاجي أن الشاعر (ذو رؤية خاصة وموقف ذاتي متفرد يحاول خلق جوهره بقوة كينونته وبقاء الذات التي تتعادم فيها كل هذه الاشياء محور الشعرية الخاصة من خلال التفاعل والأنفعال وتجلي اللا مرئي في المرئي)(٢).

(١) خطاب الامير بدر بن شاكر : ٥١ - ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٤ .

آليات التناص في الديوان :

تناص العنونة:

نبتدي قراءتنا لشعرية التناص في نص عبد الكريم راضي جعفر من العنوان. فمن المعروف أن (عنوان الكتاب وعنوانه سمي به لأنه يعن له من ناحيته واصله عتآن وكلما استدلت بشيء يظهره على غيره فهو عنوان له (١).

وقد وقفت الدراسات النظرية الغربية طويلا عند العنوان، وبخاصة في دراسات لوي هويك في كتابه (سمة العنوان) : إذ حدد فيه الجهاز المفاهيمي للعنوان ومعالمه التحليلية وحاول تفكيك بنيته (٢).

ورأى جيرار جينيت: أن العنوان أهم عناصر المناص وأنه النص الموازي للنص الاصلي فلا يعرف إلا به أو من خلاله (٣).

لقد ارتبطت دراسة العنوان بالتحليلات السيميائية للنص الادبي فقد (أولت السيموطيقا اهمية كبرى للعنوان بوصفه مصطلحا إجرائيا ناجحا في مقارنة النص الادبي، ومفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج الى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها، ويستطيع العنوان أن يفكك النص ويعيد تركيبه ببنية جديدة، عبر استكناه بنيته الدلالية والرمزية، وأن يضيء لنا في بداية الامر ما اشكل من النص وغمض(٤)، فقراءة العنوان قراءة واعية تفتح تأويلات النص وتجعل المتلقي قادرا على فهم حقيقي للنص من خلال عنوانه الذي يكشف دلالة النص.

أختار الشاعر لنصه عنوانا (خطاب الأمير بدر بن شاكر) - ومما لا شك فيه - أن هذا الاختيار لم يكُ اعتباطيا، إذ تفتتح من خلاله تأويلات النص، ويستكشف عبره قصيدة الشاعر، إذ نلاحظ منذ البدء أن عبد الكريم راضي جعفر إرتدى قناع السياب محاولا أن يوحى للمتلقي أن هذا الخطاب ليس خطابه بل خطاب السياب ذاته، و من المعروف أن الشاعر كان من المتأثرين بتجربة السياب ومن المعجبين به ويتضح ذلك بجلاء في كتابيه (مفهوم الشعر عند السياب) و (رماد الشعر) اللذين حملا اعجابا واضحا بتجربة السياب الشعرية فضلا على أنهما ابنا بيئة واحدة .

(١) ينظر: القاموس المحيط : مادة عنن : ١١٢٢ .

(٢) ينظر: عتبات جينيت من النص الى المناص : ٦٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٨ .

(٤) السيموطيقا والعنونة : ٩٦ .

إن النقد الادبي يرى أن العنوان (حمولة مكثفة للمضامين الاساسية للنص، وهو وجه النص مصغرا على صفحة الغلاف)^(١)، وقد نجح الشاعر في تكثيف حواريته التناصية مع السياب عبر هذا العنوان الذي جسد وظيفة النص فكان متألفا ومتكاملا مع نصه الشعري فالعنوانات للنصوص الأدبية (علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الأحتواء لمدلول النص، كما تؤدي وظيفة تناصية إذا كان العنوان يحيل على نص خارجي)^(٢)، والنص هنا يحيل على نص آخر للسياب ويجعل المتلقي متفاعلا مع تجربة السياب الشعرية بما حملته من تجديد كبير في حركة الشعر العربي الحديث .

إن قراءة العنوان لا يمكن أن تكون متكاملة ما لم يمتلك المتلقي معرفة جيدة بحياة السياب و شعره، ويبدو أن الشاعر هنا تعمد وصفه بالأمير إعجابا بشعريته، وإقرارا بمنحه إمارة الشعر الحر، مثلما أطلق السابقون على أحمد شوقي لقب أمير الشعراء اعجابا بشاعريته. ومثلما أطلق الاقدمون على المتنبي صفة النبوءة تكريما له، وإقرارا بعلو كعبه، وتميزه بين الشعراء فالشاعر هنا يطلق على سلفه وابن مدينته وشبيه تجربته صفة الأمير بما تحمله في الموروث الشعبي من الرقة والدمائة والتميز ولم يطلق عليه صفة الملك او الرئيس أو القائد أو سواها، لما تحمله صفة الأمير من معان ذات دلالات رومانسية حالمة في الذاكرة الشعبية .

لقد أدى العنوان هنا دوره المطلوب - على حد فهمنا - في التناص مع مجموعة كبيرة من القضايا في النص و تحديد موقف الشاعر الأيديولوجي والفكري، فلقد كان العنوان رسالة لها علاقة بالمرسل والمرسل اليه على حد تعبير ياكوبسون . إذ تجلت نظرة الشاعر وأفكاره عبر قصدية العنوان الذي كان تعبيراً مكثفاً عن النص .

تناسات المتن الشعري :

إذا انتقلنا الى متن القصيدة وجدنا ان الشاعر ابتدأ نصه بالقول :

تتكئ الآن، على خاصرة من زمان

وتبكي على قميص

قد من دبر

وتفتح في النور

باباً لظلمة قادمة

.....

عدت ... ها عدت ... انت عدت

(١) وظائف العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري : ٩٥ .

(٢) السيميوطيقية والعنونة : ٩٨ .

في زمن الضيم

والغيم

والنوم

والفيضان الرجيم (١)

يفتح الشاعر نصه الشعري بالتناص مع الآية الكريمة: ﴿ وَأَسْتَبَقَا أَبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٥) قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي^٤ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ، قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ، قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ، مِنْ كَيْدِكُنَّ^٥ إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يوسف (٢٥-٢٨)

لقد استثمر الشاعر إحياءات النص القرآني الكريم ليثبت مظلومية الشاعر السياب وما تعرض له من متاعب استمرت طيلة حياته وصولاً إلى موته المبكر جداً ومأساته التي قضاها في حياته ليجعل من تلك المأساة رمزا لمأساة شعب بأكمله، كما تعتمد الشاعر قلب الصورة المألوفة في أذهان المتلقين، فإذا كان المؤلف أن يفتح الإنسان كوة في الجدار ليدخل النور تدريجياً فإن الشاعر يشير إلى ظلمة قادمة تتجسس من خلال النور فلا تبقى ولا تذر شيئاً، وهي هنا تعبير إلى الظلمة القائمة التي تحيط بالعراق من جوانبه كلها والمؤامرة التي يتعرض لها فكان شعور الشاعر شبيهاً بشعور سلفه السياب الذي خاطب وطنه قائلاً (هي جنة فحذار من إفعى تدب على ثراها) .

تناص التكرار :

يلجأ الشاعر أيضاً إلى تقانة التكرار وهو واحد من المؤثرات الإيقاعية والدلالية المهمة في النص الأدبي، إذ ترى نازك الملائكة أن التكرار (هو إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته من سواها وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كاملاً في كل تكرار، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه) (٢)، فنفسية الشاعر كانت شديدة التأثير بالظروف التي مرت بها البلاد وقد الجأ ذلك إلى تكرار الالفاظ (عدت، ها عدت، انت عدت) ليؤكد عودة السياب إلى عالم اليوم المعاصر فهو يتصور أن السياب الذي

(١) خطاب الامير بدر بن شاكر : ٥-٦ .

(٢) قضايا الشعر المعاصر : ٢٤٢ .

تفتح به عاد باحثاً عن حلمه الذي انتظره طويلاً بأن يرى اشراقاً غد عراقية جديد لكنه عاد إلى زمن الضيم والغيم والنوم والفيضان الرجيم، فالزمن العراقي المنتظر أضحى زمناً قاتماً موبوءاً مليئاً بالأهات والاحزان، وإذا كان المألوف في الموروث أن الفيضان هو رمز للخصب والحياة والتجدد فإن الفيضان هنا فيضان رجيم، ونلاحظ كيف استثمر الشاعر دلالة التقارب الصوتي الإيقاعي بين (الغيم، الضيم) فاللفظان متجانسان من الناحية البلاغية ومتضادان من الناحية الدلالية، الغيم رمز للمطر الذي ظل رفيق السياب طيلة حياته حتى لقب بشاعر المطر واقترب اسمه برأئعته الشعرية (أنشودة المطر)، في حين أن الضيم رمز للقهر والظلم الاجتماعي والضياح، فالشاعر نجح في جمع تلك التقانات للتعبير عن فكرته التي يروم الوصول إليها وهي تبدد حلم السياب بل حلم العراقيين جميعاً بحياة جميلة يشعر فيها الإنسان أنه عاش الحياة التي يستحق .

تناص التوظيف الأسطوري والشعبي :

ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى توظيف السياب للحديث عن أساطير بابل وتموز وعشتار وهي أساطير ارتبطت بشعر السياب ثم يأتي للقول :

وكانت وفيقة

أغنية في مساء حزين

تقول

(هلي أوي هلي

ما جابو ولفي إلي

ترى الفرگه جوت كلبى جوي)

وتهبط فيك أعالي النخيل)^(١)

يستخدم الشاعر هنا رمز وفيقة، وهو من الرموز التي كثر الحديث عنها في شعر السياب في قصائد شباك وفيقة وحدائق وفيقة وغيرها من النصوص السيابية التي وقف عندها ناقدوه أمثال إحسان عباس وعيسى بلاطه وحسن توفيق وغيرهم وقالوا أنها من حبيبات السياب وهي ابنة عم أبيه وتكبره ببضع سنوات وأشارت الشاعرة لميعة عباس عمارة أنها هي المقصودة برمز وفيقة في شعره وأنه كان يكني بهذا الاسم لأنه لا يريد التصريح باسمها الحقيقي في شعره^(٢) وقد استثمر الشاعر ذلك معبراً عن تجاربه العاطفية التي مر بها متقنعا بقناع السياب

(١) خطاب الأمير بدر بن شاكر : ١٢ .

(٢) للتفصيل في ذلك ينظر ظاهرة وفيقة في شعر السياب : لميعة عباس عمارة ، مجلة

الإقلام ، العدد الأول ١٩٨٢ : ١٢ .

موظفا الأغنية الشعبية العراقية الشهيرة التي غناها المطرب حضيري ابو عزيز، فكان التوظيف التناسي شديد الحضور في القصيدة إذ أراد عبدالكريم راضي جعفر الايحاء بفشل العاطفة وضباع كل شيء في هذا البلد .

ينتقل بعد ذلك للقول :

في جرارك

والشجر

والغروب

والمحار

والسمك الساحر

خذ من بويب جناحا

وارده في مهادي الردى (١)

ان الشاعر هنا يتناص مع قصيدة السياب (النهر والموت) التي يقول فيها :

بويب : بويب

اجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار والغروب في الشجر

أود لو أخوض فيك أتبع القمر

وأسمع الحصى يصلّ منك في القرار

والسمك الساهر هل ينام في السحر (٢)

إن الشاعر هنا يعتمد التناص مع السياب مستثمرا اسم بويب وهو نهير صغير في أبي الخصب مدينة الشاعر السياب استطاع أن يخلده السياب في شعره حتى أصبح رمزا شعريا في شعره لا يمكن لدارس شعر السياب إلا ان يمر به ولم يكن اختياره لذلك عفويا بل كان يقصد الأتيان بما في بيئة الشاعر التي هي بيئته نفسها وهذا أمر تعمده الشاعر ليقارن بين بصرتين بصرة السياب التي كانت تسمى بندقية الشرق أيام عزها وبصرة جعفر التي تحولت الى مدينة خربتها الحروب وتوالت عليها النكبات فكان تقنع الشاعر بقناع السياب صورة ناجحة في التعبير عن ما آلت اليه الامور .

(١) خطاب الامير بدر بن شاعر : ١٦ .

(٢) ديوان السياب: ١ / ٢٥٦ .

ينقل الشاعر للقول :

فأنا اليوم في قلق

في الاصابع والاذنين والجسد الناحل

جسد ناحل وقلب جريح ودموع على الخدود تسيح

وحبيب مرّ التجني ولكن كلما يفعل المليح مليح^(١)

فالنص العمودي مأخوذ من قصيدة شهيرة للشاعر العراقي حسام الدين الحاجري وهو شاعر رومانسي ولد سنة ١١٨٦ وتوفي ١٢٣٥ مقتولا وهو رقيق الاحساس حسن المعاني عرف بقصائده الغزلية^(٢) .

ان جعفر هنا يتناص مع حياة السياب الذي عانى كثيرا في أواخر حياته من الام المرض العضال (السرطان) واشتدت عليه الأزمات وشح عليه الدواء فكان نحوله كنحول السياب وهذا ما دعاه لاستثمار نص الحاجري ايضا، لكنه رغم كل ذلك العذاب مغرم بوطنه حامل لهمة يرى أن مرضه يهون امام معاناة شعبه فلقد كان عبد الكريم راضي جعفر يحمل هم الوطن مثلما حمله السياب في قصائده الخالدة التي تغنى بها بالعراق وتحدث عما يحاك من مؤامرات ضده .

ويستمر الشاعر قائلا :

وها انت يا ابن شاكر

تلوذ بصوت اغان

اولست الذي انطفاً بصحراء بغداد

وصوت جميل المعنى الذي

ارقد الان

تقول لبيبة لما رأت فنونا من الشعر الاحمر

كبرت كريم وأودى الشباب فقلت لبيب ألا فاقصري

أتسين أيامنا باللوى وأيامنا بذوي الاجفر

وإنا اغيد غض الشباب أجر الرداء مع المنزر

وإذ لمّتي كجناح الغراب ترجل بالمسك والعنبر

وانت كلؤاؤة المرزبان بماء شبابك لم تعصري

قريبان مربعنا واحد فكيف كبرت ولم تكبري^(٣)

(١) خطاب الامير بدر بن شاكر : ١٩ .

(٢) ينظر للتفصيل في شعره ديوان بلبل الغرام الكاشف عن لثام الانسجام : ٢٨ وما بعدها .

(٣) خطاب الامير بدر بن شاكر : ٤١ - ٤٢

إن الشاعر هنا يبتدئ تناصه مع السياب حين يتحدث عن بغداد التي يشبهها بصحراء قاحلة وهذا يذكرنا بشبيه السياب لها حين وصفها بمعنى كبير مما يدل على ان الشعارين يميلان الى العودة الى جذورهما الريفية ويتألمان من المدينة ويشعران فيها بالضياح، فكلاهما ذو منهل رومانسي ريفي وهذا ما جعلهما لا يتألفان مع المدينة، والشاعر هنا يتناص في نصه العمودي مع الشاعر الاموي جميل بثينة فقد اخذ النص باكملة من جميل ولم يحدث فيه تغييرا سوى استبدال اسم بثينة بلبيبة واسم جميل باسم كريم وهو الاسم الذي يطلق على الشاعر عبدالكريم راضي في منطقته، وأصل نص جميل في عتاب بثينة لأنها وصفته بانه قد أصابه الكبر فذكرها بأيام شبابهما وعلاقتهما التي استمرت طويلا قائلًا لها كيف يمكن ان يكبر ولا تكبر هي^(١)، ان الشاعر حاول في هذا النص ان يمزج بين شخصيات ثلاثة شعراء هم ذاته والسياب وجميل بن معمر وقد أبدع في ذلك حين استبدل اسم جميل باسمه واستبدل اسم بثينة باسم لببيبة او لباب وهي احدي حبيبات السياب التي أكثر الحديث عنها في شعره^(٢) .

(١) للاطلاع على قصيدة جميل الاصلية ينظر ديوان جميل بثينة: ٦٨ .

(٢) ينظر: التجربة الشعرية عند بدر شاكر السياب ودلالاتها في ضوء جمالية التلقي: ٨٤ .

تناص المرض :

لقد ارتدى قناع السياب وحاول ان يجمع بين معاناته ومعاناة السياب فقد عانى في اواخر حياته من الاهمال الرسمي بعد ان تولى عنه الكثير من احبته في محنة مرضه ولذلك تبلغ قمة معاناة الشاعر بقوله :

انك الان

ايها الشيخ ابن شاكر

تتورم فيك الافاعي

من الشط تنهش النار والثلج

ايها الشيخ ابن شاكر

قل لاصبع واحدة

كنت تشير بها الى ظالم

والى بعض الطيور

اكلت فرخها مثل نسر صغير (١)

لقد وصلت قمة التناص عند الشاعر حين أورد اسم السياب (ليكون رمزا وتعبيرا وتشبيها ورفضاً للظلم الذي يمر به الشاعر وابناء بلده مستفيدا من تقانة التراسل لخلق صورة جميلة ومؤثرة لاثارة الدهشة عند المتلقي ولاستثمار معطيات اكثر من حاسة بغية الاستفادة من ايحاءاتها)^(٢)

لقد كان نص عبد الكريم راضي جعفر يحمل تناصات واعية مع حياة بدر شاكر السياب فهو يستثمر الحوار مع تمثاله وتذكرنا كلمة الأفاعي في النص بقول السياب محذرا مما يحاك ضد وطنه(هي جنة فحذار من افعى تدب على ثراها) فهو يصف المؤامرات بالافعى التي تريد ان تبت سمومها في الوطن واذا كان النقد يرى ان (كل نص يتوالد ويتعالق وينبثق من هيوولى النصوص في مجاهيل ذاكرة المبدع الاسفنجية التي تمتص النصوص بانتظام وتبثها بعملية انتقائية خبيرة، فتشغل هذه النصوص المستحضرة من الذاكرة الجمعية داخل النص لتشكل وحدات متعالية في بنية النص الكبرى^(٣)، فان الشاعر هنا يحاور تمثال السياب مشيرا من خلاله إلى الحروب والصراعات الطائفية التي دمرت البلاد والعباد وأخرت تقدم هذا الوطن وأحالته الى خراب ولا ينسى الاشارة الى تأمر بعض ابناء هذا الوطن على ابناء جلدتهم مشبها

(١) خطاب الامير بدر بن شاكر : ٤٥ .

(٢) الرمز والموروث الشعبي في شعر عبد الكريم راضي جعفر : ٥٢١.

(٣) بنية النص الكبرى، عالم الفكر، مج ٢٣ ، ع ١ ، ١٩٩٤ : ٤٤٦ .

اياهم بالطيور التي تأكل افراخها وتتحول ازاء ابناء جلدتها الى نسور كاسرة لا تحمل في داخلها ذرة رحمة .

ان التناص كما يقول بارت(مصنوع من كتابات مضاعفة وهو نتيجة لثقافات متعددة تدخل كلها او بعضها في حوار ومحاكاة وتعارض مع بعض، ولكن ثمة مكان تجتمع فيه هذه التعددية، وهذا المكان ليس الكاتب ...انه القارئ حيث أن وحدة النص ليست في أصله ولكن في القصد الذي يتجه اليه) (١) .

ولقد اختتم الشاعر نصه بالقول :

تذكر يا ابن شاعر الآن

إنك في بحيرة الوجع

فاغمض الصوت والصمت

ولتكن رفة في جناح مهيبض

أيها الواقف الآن

بين النزيف وبين اصفرار الوجوه

التي خانت الرب في العشاء الاخير

ترجل .. ترجل .. ترجل

ترجلت كنت الامير المخضب

بالعشق حد احتراق الجفون

ايحترق الماء من جذوة الطين ام من بقايا المنون

ترجلت

كنت مسكا عليل

وكنت شهيدا وكنت الدليل (٢)

يحمل النص تناصات عديدة يبدؤها ببحيرة الوجع وهي تحوير لبحيرة البجع وهي احدى الروائع الموسيقية للروسي تشايكوفسكي وتعد من التراث الموسيقي العالمي ثم ينتقل للحديث عن العشاء الاخير وهو (حسب أسفار العهد الجديد عشاء عيد الفصح اليهودي التقليدي وكان

(١) هسهسة اللغة : ٨٣ .

(٢) خطاب الامير بدر بن شاعر : ٤٨ - ٥٠ .

يوما إحتفل به السيد المسيح بحسب العقيدة اليهودية والمسيحية مع تلاميذه قبل أن يتم اعتقاله ومحاكمته وصلبه، ويعد من أهم العقائد اليهودية والمسيحية ويمثل تضحية المسيح ونظرية الفداء^(١) .

إن التناص كما يقول الغدامي قائم على جسدية النص ولأن كان مفهوم جسدية النص وكونه كائنا حيا مركبا هو لب الفكرة فيما قلناه ونقوله عن نصومية النص، فإن هذه الجسدية لا تقوم على عزل النص عن سياقاته الأدبية والذهنية، وذلك لأن العمل الادبي يقوم على شجرة نسب عريقة وممتدة مثل الكائن البشري ... انه إنتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي وهو بذرة خصبة تؤول الى نصوص تنتج عنه^(٢) .

لقد انهى الشاعر عبدالكريم راضي جعفر حديثه مع السياب داعيا إياه الى التزلج وترك ما هو فيه فلم يعد له مكان في هذا الوطن الذي تكالبت عليه الاعداء فكان السياب شاهد العصر وكان عبدالكريم يجد في السياب القناع الذي يعبر من خلاله عن معاناته وغريته في وطنه، فكان التناص هو الوسيلة التي التجأ اليها لايبصال افكاره الى المتلقي . ولعل اختياره للسياب كان موقفا فهما شاعران من مدينة واحدة ومن ظروف متشابهه عانى كلاهما من المرض والغربة والحرمان وتكالب الاعداء

(١) العشاء الاخير : د محمد بدوي مصطفى ، شبكة المعلومات العالمية .

الخاتمة

يمكن القول أن الشاعر عبد الكريم راضي جعفر نجح في أن يجعل تناصاته مع السياب تناصات واعية، فهو قد تناص معه تارة، وارتدى قناع السياب تارة أخرى، بيد أن تلك التناصات لم تثقل بنية القصيدة ولم تقلل من التجربة الشخصية للشاعر وخصوصيته الإبداعية، بل كانت إضافة مميزة أغنت بنية القصيدة ونأت بها عن المباشرة والتقليد.

ثبت المصادر

- ❖ الأسطورة في شعر السياب : عبد الرضا علي، ط ١، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٧٨ .
- ❖ بنية النص الكبرى : صبحي الطعان، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول لسنة ١٩٩٤ .
- ❖ التجربة الشعرية عند بدر شاكر السياب ودلالاتها في ضوء جمالية التلقي : دولامي فاطمة الزهراء، رسالة ماجستير، إشراف : أ.د. سعيد عكاشه، جامعة جيلالي اليابس، الجزائر . ٢٠١٩ .
- ❖ ثقافة الأسئلة مقالات النقد والنظرية: عبدالله الغدومي، ط٢، دار سعاد الصباح، الكويت . ١٩٩٣ .
- ❖ خطاب الأمير بدر بن شاكر: عبدالكريم راضي جعفر، المركز الثقافي للطباعة، بابل . ٢٠١٦ .
- ❖ ديوان بلبل الغرام الكاشف عن لثام الأنسجام : عيسى بن برهم المعروف بحسام الدين الحاجري، تحقيق د. خالد الجبر، جامعة البتراء الاردن، ٢٠٠٣م
- ❖ ديوان جميل بئينه : تحقيق د. حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨ .
- ❖ الرمز والموروث الشعبي في شعر عبد الكريم راضي جعفر : م.م ساجد حمزة غليم، مجلة جامعة واسط، ٢٠٢٠ .
- ❖ السيميوطيقا والعنونه : جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، الكويت ١٩٩٧ .
- ❖ ظاهرة وفيفة في شعر السياب : لميعة عباس عمارة، مجلة الاقلام، العدد الأول . كانون الاول، ١٩٧١ .
- ❖ عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناص : عبدالحق بلعابد، تقديم سعيد يقطين، ط١، . ٢٠٠٨ .
- ❖ العشاء الاخير: محمد بدوي مصطفى، موقع العربية، شبكة المعلومات العالمية almadayinpost.com
- ❖ علم النص جوليا كريستيفا : ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المملكة المغربية، د.د .
- ❖ القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥ .
- ❖ قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٥ .
- ❖ المبدأ الحوارية: تزفيتان تودوروف، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٩٦ .

- ❖ مدخل لجامع النص :جبار جينيت، ترجمة عبدالرحمن ايوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد . ١٩٨٦ .
- ❖ مفاهيم موسعة لنظرية شعرية : محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٠ .
- ❖ وظائف العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري: رحيم عبدالقادر، مجلة المخبر، الجزائر، العدد الرابع، ٢٠٠٨ .
- ❖ هسهسة اللغة : رولان بارت، ترجمة: منذر عياشي، دار نينوى، سوريا، د.ت .